

ويملكان القدرة على استخدامها وهي (القول). ولذا قال أحدهما ثم قال الآخر: ولقد قالاً بما عجز عن الفعل ولذا صار قولهما فعلاً. حيث أوجدا وابتكرا واقعاً نصوصياً فيه كل ما هو مفقود وغائب، وكان ذلك رقية سحرية تكسر لهما شروط الظرف وقيوده وعوزه ومواته. ومن هنا فإن اللغة هي اتصال حيوي يعادل الحياة، ويناهض الموت.

والحكاية هذه لا تدخل في اللغة متطفلة عليها أو متسولة لحسناتها، إنها تغوص في اللغة متشابكة مع سياقاتها الأدبية، ومستنهضة لدلالات هذه السياقات، فالليل والفرس والسهم والظبي كلها قيم شعرية وشاعرية⁽²⁹⁾، تتمدد في الموروث بداية ومساراً لتجعل هذه الحكاية جزءاً من سياق ثري يعرفه كل قارئ للأدب.

فالليل الأعرابي وحش مفترس يهاجم البشر ويرعبهم، ويتجسد لهم على صورة حيوان بحري يتموج جالباً الهموم التي يجثم بها على الإنسان، ويطبق عليه كحيوان أسطوري غاشم. ذاك هو الليل كما صورته امرؤ القيس. وهذا هو الليل الذي كان يواجهه الأعرابي فيخاف منه ويرتعب. ولقد تعلم هذا الأعرابي أن هذا الليل المتوحش ذو قدرة مطلقة على الإنسان يستطيع إدراك الإنسان، وليس للمرء أن يهرب منه. ولقد قال النابغة بذلك وكشف بلواه معه، حيث الليل يدرك الإنسان ولا متأى عنه.

ذاك واقع الليل الأعرابي، ولكن الحكاية تسعى إلى إقامة معادلة جديدة يتخلص فيها الأعرابي من ليله المتوحش، ولهذا جاءت الحكاية لتنتصر للإنسان وتنتقم من الليل، فجعلت الإنسان